محاضرة رقم 01: النهضة الأوربية:

أولا: مظاهر انتقال أوربا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث:

ارتبط الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث في أوربا بسقوط "القسطنطينية" (عاصمة بيزنطة) عام 1453م، حيث تبع ذلك نزوح العلماء إلى إيطاليا حاملين معهم تراث اليونان والرومان، كما ارتبط أيضا بسقوط غرناطة في 2 جانفي 1492م، واكتشاف العالم الجديد "أمريكا". وقد حدثت جملة من التغيّرات والتحولات التي مست كل جوانب الحياة الأوربية في تلك الفترة الممتدة من القرن الثاني عشر (12م) إلى نهاية القرن الخامس عشر (15م) تمثلت أبرز مظاهرها فيما يلي:

1- المظهر الثقافي والعلمي: من المعروف أن الجانب الثقافي في العصر الوسيط كان حكرا على رجال الدين، وكانت اللغة المستعملة هي اللغة اللاتينية (لا تُمنح الإجازة لأي شخص إلا إذا أتقن هذه اللغة)، لكن مع الانتقال نحو العصر الحديث، بدأت بوادر الوعي القومي لدى الشعوب الأوربية، وتبلورت اللغات القومية التي أخذت تُزيح اللّغة اللاتينية وتحل محلّها، وذلك من خلال بروز آداب وفنون باللغات القومية، مثال ذلك قيام جون ويكلف John Wycliffe [1] بترجمة الكتاب المقدّس إلى اللغة الإنجليزية.

في **الجانب العلمي**؛ ازداد الاهتمام بدراسة التاريخ والجغرافيا، سيما بعد بدء حركة الكشوف الجغرافية، حيث أدرك الإنسان الأوربي أن العالم أوسع مما كان يعتقد، كما ساهم اكتشاف الطباعة من طرف 'يوحنا غوتنبرغ' (Johannes Gutenberg[2])، في بعث التراث القديم ونشر الأفكار والمعارف على نطاق واسع، ولولا هذا الاختراع لظلت الكتابة والقراءة حكرا على النخبة و رجال الدين، فبفضل الطباعة أصبحت الكتب والمنشورات في متناول عامة الناس.

وعرفت هذه الفترة أيضا تأسيس بعض الجامعات الأوربية: جامعة باريس في القرن الثاني عشر (ق12م)، التي اهتمت بداية بتدريس الطب والقانون واللاهوت، وفي إيطاليا أُسّست المدارس العليا مثل مدرسة ساليرنو الطبية، ثم جامعة نابولي، وجامعات أكسفورد وكمبريدج في إنجلترا، حتى أن عدد الجامعات الأوربية بلغ 65 جامعة بحلول عام 1500م. غير أن هذه الجامعات بقيت تحت سيطرة الكنيسة.

---

[1]- فيلسوف إنجليزي بارز في مجالي الدين والسياسة في أواخر القرون الوسطى.

[2]- مخترع ألماني ولد عام 1398م وتوفى فيفري1468 م، قام سنة 1447 بتطوير قوالب الحروف التي توضع بجوار بعضها البعض، ثم يوضع فوقها الورق ثم يضغط عليه فتكون المطبوعة. ويعتبر مخترع الطباعة الحديثة.

2- المظهر العسكري: ظهرت الجيوش الثابتة بدل المرتزقة وجيوش الأشراف النبلاء، وفقدت طبقة الفرسان دورها، وظهرت الجيوش النظامية الدائمة، وازداد دور فِرق المشاة أهمية، فضلا عن استخدام المدافع والأسلحة الحربية. كما مثلت الحروب الإقطاعية (مثل: حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا 1337-1453م، وحرب الوردتين[3])، مظهرا بارزا من مظاهر التحوّل، حيث نجم عنها هلاك أعداد كبيرة من الإقطاعيين، وبالتالي القضاء على الإقطاع وتثبيت السلطة الملَكية التي وجدت في الطبقة الوسطى خير حليف لها.

3- المظهر الاقتصادي: أدّى انتعاش النشاط التجاري إلى ازدياد عدد المدن وتطوّرها، وسارت المجتمعات الأوربية نحو التمدّن، وتحوّلت المدينة الأوربية إلى مركزا للنشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وظهرت مدن جديدة خاصة في القسم الغربي من القارة الأوربية، وسميت المدن التي تحررت من الإقطاع بالمدن الحرة (الكومونات): وهي المدن الحرة أو المدن المستقلة؛ المنفصلة عن الدول الإقطاعية أنّها ظهرت في وسطها، وكانت تسمّى أيضا: المدن الدول، والتي نشأت على أنقاض المدن الرومانية القديمة. ولعبت هذه المدن دورا مهما في تحرير الأقنان (العبيد)، فكانوا يلجؤون إلى المدينة ليصبحوا أحرارا وشاع بينهم قولا: (**إن هواء المدينة يجعل الإنسان حرا**).

لقد لعبت المدن الإيطالية دورا بارزا في تمدن المجتمع الأوربي، وذلك من خلال وساطتها بين عالمين كانت تسودهما القطيعة، العالم الإسلامي شرقا والمسيحي غربا، فازدهرت التجارة مع مدن الشرق ونمت أهمية الموانئ الأوربية خاصة المطلة على البحر الأبيض المتوسط (مركز التجارة العالمية في ذلك الوقت)، وأصبحت مدن (جنوة والبندقية وبيزا) أغنى مدن أوربا. وتطورت وسائل الإنتاج، وصناعات النسيج، السّفن، الأسلحة والورق.

4- **الصعيد السياسي**: لم تتبلور فكرة **القومية** خلال هذه المرحلة؛ إذ ساد الصراع بين الإمارات والمدن، على سبيل المثال الجمهوريات الإيطالية لم تتوحّد على يد كافور[4] حتى سنة 1870م؛ بالرغم من نقاط التشابه الكثيرة بينها، وبقيت الإمارات الألمانية مشتّتة إلى أكثر من 400 إمارة.

بالمقابل شكلت البرتغال واسبانيا مركزي الثقل السياسي في أوربا، وأدّت حركة الكشوفات الجغرافية إلى التخفيف من سيطرة المدن الإيطالية على طرق وموارد التجارة نحو الشرق، فكان للأمير البرتغالي هنري

[3]- حرب الوردتين هي مجموعة من المعارك الأهلية حدثت بين عامي(1455م-1485م)على كرسي العرش في إنجلترا بين أنصار كل من: عائلة لانكستر وعائلة يورك،و كانت الوردة الحمراء شعار أسرة لانكستر و الوردة البيضاء شعار أسرة يورك.

[4]- **كاميلو بينسو كونت كافور**، ولد فى مدينة تورينو الإيطالية عام 1810 لأسرة امتلكت أراضى زراعية، كان أبرز وأعظم صانعى الوحدة الإيطالية.

الملاّح دورا بارزا في ازدهار الرحلات الجغرافية واستقطاب العلماء، وباكتشاف رأس الرجاء الصالح كطريق للعبور إلى الشرق، تغيّرت موازين القوى في أوربا، كما كان لهذا الاكتشافات أثر سلبي على بلاد الشام وبلاد المغرب (شمال إفريقيا) بسبب تراجع الحركة التجارية في البحر المتوسط.

ثانيا: دخول أوربا عصر النهضة:

1- مفهوم النهضة الاصطلاحي: النهضة تعني اليقظة والاستفاقة بعد نوم عميق؛ وبعد جمود عقلي وركود فكري. والنهضة الأوربية هي بمثابة ثورة علمية، فكرية، اقتصادية، سياسية واجتماعية، بلغت أوجّ تطورها خلال القرن 16م، وهو ما اصطلح عليه بـــ"إحياء التراث القديم"أو إحياء العلوم، وبعث العلوم على أساس الرجوع إلى مخلفات وآثار الإغريق والرومان ودراستها، وقد بدأت في مدن شبه الجزيرة الإيطالية وازدهرت هناك، ثم انتقلت إلى باقي الأقاليم الأوربية خلال القرنين 15 و 16م.

ظهر مصطلح "**النهضة** Renaissance لأول مرة على يد جول ميشليه [5]jules Michelet بتعبيره عن اكتشاف العالم والإنسان سنة 1855م، ثم جاء بعده المؤرخ السويسري يعقوب بريكان Jakob brekan سنة 1860م ليوسّع هذا المفهوم حيث عرّفه: "**بأنه اكتشاف الإنسان لذاته وقدراته**".

2- خصائص النهضة الأوربية:

- **علمانية:** أي أنها لم تنشأ في أحضان الكنسية ولا في رحابها، ولكن عن طريق المفكرين، كما جاءت النهضة بأفكار جديدة أحدثت تغييرات جذرية في المفاهيم، فالبابوية كانت تقول بأن الأرض مسطّحة، ولكن ماجلان[6] أثبت بأنها كروية بدورانه حول الأرض.

- **مدينية:** ظهرت في المدينة وليس في الريف، فالمدن نجحت في أن تصبح وحدات سياسية مستقلة وحرة، اعتمدت على التجارة والصناعة مبتعدة عن سيطرة النبلاء، كما أن المدن الإيطالية كانت بها ثروات سمحت بتنشيط الحياة العلمية والفنية من خلال شراء الكتب والمخطوطات ورسم اللوحات الزيتية.

---

[5]- المؤرخ الفرنسي الشهير جول ميشليه (Jules Michelet) الذي عاش في القرن التاسع عشر وكان واحدا من أكبر مؤرخي الثورة الفرنسية.

[6]- فرناندو ماجلان Fernando de Magellan : رحالة ومستكشف برتغالي ولد في سبروزا في شمال البرتغال، ثم نال بعد ذلك الجنسية الإسبانية نتيجة لخدمته للملك الإسباني كارلوس الخامس.

- **فردية** وإنسانية: أي أن الفرد (الإنسان الأوربي)، تمتع بشخصية مستقلة وحرية الرأي والتصرف، ولم يعد ملتزما بطائفة أو جماعة ينتمي إليها. ومنذ القرن الرابع عشر الميلادي، بدأت تتجلّى في أوربا بوادر ثقافة جديدة تهتم بالإنسان في مضمونه وتناهض الفكر الكنسي، اتسمت هذه الثقافة بالنزعة الدنيوية، ووضعت اللبنات الأولى في صرح الحركة الإنسانية التي دلت على فقدان الكنيسة لهيمنتها الفكرية على قطاع مهم من المفكرين الأوربيين.

- **مرحلية:** كون النهضة لم تظهر في أوربا دفعة واحدة، بل في إيطاليا أولا، ثم فرنسا واسبانيا، والنهضة بدأت ثقافية إنسانية وانعكس ذلك على العلوم، فظهر البارود ثم اخترعت الآلات البحرية، وازدهرت صناعة السفن وتم اكتشاف قوة البخار الذي أدى إلى رفع سرعة السفن، ونشأت اللغات القومية الحديثة كالإيطالية والفرنسية والاسبانية.

ثالثا: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية:

يقول الأديب محمود عباس العقّاد: "الأمم الشرقية والغربية جميعها دائنة ومدينة في تراث الحضارة الإنسانية، وأنّه ما من أمّة لها تاريخ إلاّ وقد أعطت كما أخذت من ذلك التراث".

هذا القول ينطبق على النهضة الأوربية التي أسَّسَت لقيام الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، فهذه الأخيرة أخذت من تراث الأمم السالفة (الإغريق اليونان، الرومان...)، كما نهلت كثيراً من تراث الحضارة العربية الإسلامية، واستفادت من علومها ومعارفها في مجالات عديدة كالفيزياء والكيمياء وعلم الفلك والجغرافيا والرياضيات والطبّ وعلوم البحار والفلسفة، يقول الكاتب ت. كولريونج: "إنّ الدَّيْن الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنّا نحن المسيحيين داخل هذه الألف سنة نُسافر إلى العواصم الإسلامية، وإلى المعلّمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، يجب التذكير به دائماً".

لقد لعبت الثقافة العربية الإسلامية دوراً مهمّا في نقل التراث الإغريقي والروماني إلى اللغة العربية، التي كانت لغة العلم والثقافة آنذاك، فالثقافة العربية الإسلامية كانت واسطة بين العلوم والثقافات القديمة وبين عصر النهضة الأوربية، حيث ساهمت حركة الترجمة خلال العصور الذهبية للإسلام في الحفاظ على التراث الإنساني القديم ونقله للبشرية، كما أثّر العلماء المسلمون في النهضة الأوربية؛ بابتكاراتهم العديدة مثل نظام الترقيم والصفر والنظام العشري، ونظرية التطوّر واكتشاف الدورة الدموية الصغرى، وقياس سرعة الضوء وتقدير محيط الأرض، واختراع الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

يقول ويل ديورنت في كتابه: 'عصر الإيمان': "إنّ المسلمين قد ساهموا مساهمة فعّالة في كلّ المجالات، وكان ابن سينا من أكبر العلماء في الطب، والرازي أعظم الأطباء، والبيروني أعظم الجغرافيين، وابن الهيثم من أكبر علماء البصريات، وابن جُبير أشهر الكيميائيين".

رابعا: لماذا ظهرت النهضة في إيطاليا قبل غيرها؟

1- الموقع الجغرافي وطبيعة الشعب الإيطالي: مثّلت المدن الإيطالية محورا رئيسيا للتجارة مع الشرق، وحلقة وصل مع غرب أوربا، وقد نقل الإيطاليون كثيرا من مظاهر الحضارات الشرقية، كما ساهم قربهم من عاصمة بيزنطة في الاستفادة من معارف الإغريق، حيث هاجر الطلاب إلى القسطنطينية وتعمّقوا في دراسة اللغة الإغريقية وفنونها وآدابها... وقد اشتهر الشعب الإيطالي بميله إلى الحياة الفنية بصورها المختلفة، كما فُتن بالفن، وشجّعت الأسر الإيطالية الكبيرة الفنانين والمبدعين وتنافست في رعايتهم، فاشتهرت أسرتين هما ميديتشي (فلورنسا) وسفورزا (ميلان)، وقد أدّى ذلك إلى تفجير طاقات عقلية وفنية فبرز الموهوبون والمبدعون، وبلغت الحياة الفنية مستوى رفيعا لم تبلغه غيرها من البلدان الأوربية.

2- الحكومات المستبدة المستنيرة: رغم أن إيطاليا لم تعرف الوحدة السياسية، وظلت تحت حكم أُسر مستبدة (مثل أسرتي ميديتشي وفيسكونتي)، إلا أن هؤلاء تميزوا بتشجيعهم للعلماء والمبدعين والأدباء والفنانين، وكانت هناك رغبة قوية في الاحتفاظ بسمعة طيبة بين الرعية ومكانة مرموقة للإمارة، فضلاً عن الدور الذي لعبه الاستقرار السياسي الذي عرفته الإمارات الإيطالية (عكس اسبانيا التي كانت في حروب مع العثمانيين ومنشغلة بحروب الاسترداد) في السبق الإيطالي إلى النهضة.

3-الأكاديميات والمجامع العلمية: ساهمت في نشر الدراسات القديمة، وعن طريقها انتشرت الحركة الإنسانية، وكان النصف الثاني من القرن 15م عصر الأكاديميات، كما تنافست المدن الإيطالية في إنشاء المكتبات والمجمعات العلمية والمتاحف، واقتناء أنفس الكتب وأندر المخطوطات، ولعبت مكتبات الكنائس والأديرة دورا رئيسيا في المحافظة على التراث منذ العصور الوسطى، فضلا عن مراكز في العديد من المدن الأوربية.

4- وجود مقر البابوية بروما: كانت الزعامة الدينية للبابا عاملا مهما أكسَب الإيطاليين الشعور بالسيطرة على بقية أنحاء أوربا، وعاد عليهم وجود مقر البابوية في بلادهم بنفع مادي كبير، حيث كانوا يظفرون بمعظم

وظائف الكنيسة ويتقاضون مرتبات ضخمة منها؛ مما انعكس على مستوى معيشتهم. كما لعب بعض البابوات دورا بارزا في تبنّي النهضة ورعايتها، من بينهم: يوليوس الثاني، ليو العاشر، كلمنت السابع (**بابوات النهضة**).

خامساً: تجليات النهضة في إيطاليا:

1- النهضة الفنية والأدبية: هذا الميدان الذي نبغ فيه الإيطاليون، حيث نشطت حركة إحياء الفنون القديمة، فنقّبوا عن الآثار القديمة وعملوا على محاكاتها، كما برعوا في مزج الألوان وتوزيع الضوء والظّل، وبعد أن كانت الفنون تتجه لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية (رسم الشهداء والقديسين)، أصبحت الفنون تتّسم بروح علمانية وتهتم بالمناظر الطبيعية وجسم الإنسان.

ويعدّ الثلاثة الكبار: ليوناردو دافنشي Léonardo de Vinci صاحب رائعتي الموناليزا والعشاء الأخير)، ميخائيل أنجلو Michael Angelo و رافاييل؛ عباقرة فن الرسم والنحت في أوربا، كما كانوا مهندسين ومعماريين بارعين وعلماء، فليوناردو دافنشي؛ كانت له تجارب علمية في مجالات مختلفة: علم الميكانيك والمعمار والفلك ودراسة حركتي المد والجزر وتأثيرهما على الدورة الدموية للإنسان...وغيرها.

في المجال الأدبي اشتهر الأديب بترارك Pétrarque، وكان من الأوائل الذين دفعوا بحركة إحياء العلوم، كما لعب الشاعر والأديب دانتي Dante Alighieri نفس الدور، وأصبح محور الدراسات هو الإنسان والطبيعة بدلا عن اللاهوت، ويطلق على هذه الحركة الفكرية مصطلح "**الدراسات الإنسانية**" أو "**الحركة الإنسانية**"، وقد ساعد ظهور اللغات القومية على فهم المسيحية فهما صحيحا، وبالتالي فضح تجاوزات رجال الدين، وهكذا أصبح تفسير الظواهر الطبيعية يخضع للعلم وليس للدين والخرافة.

2- ظهور مفاهيم سياسية جديدة: كانت إيطاليا تعيش حالة تمزق وانقسام، وعرضة للأطماع الخارجية، مما جعل العديد من المفكرين والرواد ينبذون هذا الواقع، من خلال دعوتهم إلى الوحدة والتماسك، وكان في مقدمتهم بترارك ودانتي، ثم جاء بعدهما الكاتب السياسي نيكولو ميكيافللي (Niccolo Machiavelli) مؤسس التنظير السياسي الواقعي، صاحب كتاب "**الأمير**"، الذي يتضمن نصائح وتوجيهات يقدمها ميكيافيللي إلى الأمراء؛ لكي يتسنى لهم الحفاظ على استقرار إماراتهم وتحقيق الرخاء والرفاهية لشعوبهم، ومن أهم المبادئ التي نادى بها:

- الاعتماد على القوة في تأسيس الدولة.

- توحيد إيطاليا باستخدام القوة.

- استخدام القوة والبطش إذا كانت مصلحة الشعب والدولة تقتضي ذلك.

سادساً: انتقال النهضة من إيطاليا إلى غرب أوربا:

أخذت النهضة تتسرب إلى أقاليم أوربا عبر جبال الألب، فظهرت في بعض الدول الأخرى مثل ألمانيا وشبه الجزيرة الأيبيرية وإنجلترا وفرنسا، فالنهضة في فرنسا كانت وليدة النهضة الإيطالية، ونتيجة للحروب التي نشبت بين الجانبين (الحروب الإيطالية). وقد نشأت حركة واسعة لنشر الكتب اليونانية، كما انتشرت الدراسات الإنسانية في باريس بتشجيع من ملوك فرنسا، وتم بناء العديد من الأكاديميات ومراكز العلم (مثل الكلية الملكية التي أنشأها فرانسوا الأول عام 1530). ومن مشاهير الأدب الفرنسي فولتير[7] وموليير[8].

في إنجلترا: بدأت حركة النهضة في إنجلترا في عهد أسرة تيودور بعد انتهاء حرب المائة عام وحرب الوردتين، وقد تأثر الدارسون والمفكرون الإنجليز الذين اهتموا بالحركة الإنسانية بما تعلموه في إيطاليا، فدفعوا بحركة العلوم القديمة إلى الأمام، وقد عُرف هؤلاء بـــ "**إنسانيو أكسفورد**" ومن أبرزهم توماس مور[9] وابنه هنري الثامن... وقد شهد المسرح تطورا كبيرا على يد وليام شكسبير William Shakespeare، وفي مجال العلوم يعد العالم والفيلسوف فرانسيس بيكون (Francis Becon) مؤسس المنهج العلمي التجريبي.

أما اسبانيا: فقد انتقلت إليها النهضة عن طريق أمير ميلانو والكلية الاسبانية في بولونا، وبعض البابوات الأسبان مثل البابا ألكسندر السادس وكاليكست الثالث، ونشطت الحركة الإنسانية في الجامعات الكبرى: كجامعة أشبيليا وشيدت عدة قصور مثل قصر شارل الخامس في الحمراء، إضافة إلى تطور فن الفروسية.

---

[7]– **فرانسوا ماري أرويه** (François-Marie Arouet) المعروف باسم فولتير بالفرنسية Voltaire : من مواليد 21 نوفمبر 1694 م ووفيات 30 ماي 1778، فولتير هو اسمه المستعار . كاتب فرنسي عاش في عصر التنوير، وهو أيضًا كاتب وفيلسوف ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة.

[8]– **جون باتيست بوكلان**: بالفرنسية Jean-Baptiste Poquelin :الملقب موليير (Molière)عاش بباريس 15 جانفي 1622 وتوفي 17 فيفري 1673، هو مؤلف كوميدي مسرحي فرنسي.

[9]– السير **توماس مور** Sir Thomas More (1478–1535): كان قائداً سياسياً ومؤلفاً وعالماً إنجليزياً عاش في القرن 16.

بيبليوغرافيا مختارة:

1- هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوربي الحديث، تر.زينب عصمت راشد؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى.

2- أشرف صالح محمد سيد: أصول التاريخ الأوربي الحديث.

3- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث.

4- عبد العظيم رمضان: تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث.

5- ميلاد المقرحي: تاريخ أوربا الحديث 1453-1848.

6- سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى.

7- شوقي الجمل؛ عبد الله عبد الرزاق: تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة.

8- جفري برون: تاريخ أوربا الحديث، تر. علي المزروقي.

9- نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوربية.

10- جلال يحي: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر.

11- عبد المجيد نعنعي: أوربا في بعض الأزمنة: من النهضة إلى الثورة الفرنسية.